المالية الإسلامية ودورها في التنمية

محمد عصيم
باحث في المالية الإسلامية
الكلية المتعددة التخصصات الرشيدية - جامعة مولاي إسماعيل

تلعب المالية الإسلامية دورا مهما في التنمية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي في العديد من الدول، بحيث أنها تساهم في تعزيز الاستقرار المالي وتوفر فرصا تمويلية للأفراد والشركات، وذلك وفق قوانين الشريعة الإسلامية الشيء الذي يميزها عن نظيرتها التقليدية ويجعلها من أفضل الطرق التمويلية وأنسبها، فهي تقوم بمجموعة من الأدوار الرئيسية والمتمثلة في تمويل المشاريع الاقتصادية من خلال توفيرها لوسائل تمويلية للشركات والمشاريع الاقتصادية وفق مبادئ الشريعة الإسلامية الشيء الذي يسهم في تعزيز نمو القطاع الخاص ويعمل على توفير فرص الشغل وتشجيع الاقتصاد المحلي.

إن المالية الإسلامية كأداة تمويلية تساهم في توزيع الثروة وتحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي من خلال توزيع الثروة بشكل عادل، فهي كذلك تشجع على التمويل المشترك والمشاركة في الأرباح والخسائر مما يخلق نوعا من التضامن المالي ويضع حدا للتفاوت الاقتصادي، بالإضافة أن لها بصمة كبيرة في تمويل المشاريع الصغيرة والمتوسطة، التي تعتبر محركًا رئيسيا للنمو الاقتصادي، أضف إلى ذلك أنها تعزز الثقة والشفافية بين المستثمرين وأصحاب الأموال لأنها تطبق وفق ما هو شرعي إسلامي الشيء الذي يضمن الشفافية والوضوح، فهي كذلك تشجع الاستثمار الاجتماعي من خلال اهتمامها بالأبعاد الاجتماعية والبيئية في عمليات التمويل وتستثمر في المشاريع التي تلبي حاجيات المجتمع، فعلى سبيل المثال في مجال التمويل العقاري الإسلامي يتم توفير تمويل لشراء العقارات وبنائها وفق مبادئ التمويل الإسلامي، الشيء الذي يسمح للفرد بتحقيق حلم أن يكون له بيت خاص به كل هذا بطرق شرعية خالية من الشوائب الربوية المحرمة كما في التمويل التقليدي، بخصوص الدول الفقيرة يمكن للتمويل الإسلامي أن يموّل كما قلنا المشاريع الصغيرة والمتوسطة مما سيخلق فرص عمل وفي الوقت نفسه الحد من آفة الفقر في هذه الدول، زد على ذلك أن التمويل الإسلامي يسمح للأفراد من الوصول إلى خدمات محرومين منها في التمويل التقليدي بسبب ضعف الضمانات المادية أو القدرة على السداد، على سبيل المثال القروض الإسلامية التي تعتبر نوعًا من التمويل التي تتوافق مع الشريعة وتختلف هذه الأخيرة عن القروض

التقليدية التي تتضمن فوائد ربوية، فهي تستند كذلك إلى المشاركة في الأرباح والخسائر هي أداة لتعزيز التمويل العادل والمستدام، وتساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلدان التي تعتمد على المبادئ الإسلامية، باختصار يمكن أن يكون التمويل الإسلامي أداة فعالة في مكافحة الفقر من خلال توفير فرص تمويل تستجيب للمتطلبات وفي الوقت نفسه تتوافق مع الشريعة الأمر الذي سيساهم في تحقيق التنمية المستدامة وخلق مجتمعات منتجة وأكثر عدلا واستدامة.

إن من الأمور المهمة كذلك التي يركز عليها التمويل الإسلامي لخلق تنمية اقتصادية واجتماعية وبيئية هو خلق نوع من العدالة المالية من خلال توزيع الثروة بشكل عادل وتشجيع المشروعات المشتركة القائمة على تقاسم الربح والخسارة وتجنب الاحتكار والمضاربة ما سيخلق دينامية اقتصادية مهمة، كما أنه يركز على تمويل المشروعات الحلال البعيدة كل البعد عن الشوائب والمحرمات، ويهدف كذلك إلى خلق مجتمع يسوده التكافل الاجتماعي مجتمع منتج قائم على العمل الخيري فتوجيه الأموال والموارد إلى الأغراض الخيرية من مبادئه وتقديم المساعدة للأفراد والجماعات المحتاجة من أولوياته.

إن المالية الإسلامية اليوم اتضحت أنها من الأدوات المهمة التي تعطي فعالية أكثر في المشاريع التنموية على مستوى العالم، فالعديد من الأسواق المالية العالمية اتضح لها ما للمالية الإسلامية من فاعلية كونها تجمع بين العقلانية والمبادئ الشرعية فزاوجت بين الاثنين ما جعلها تنفرد عن نظيراتها الأخرى، الشيء الذي بعض الدول الإسلامية تتخذها سبيلا لمكافحة بعض التحديات التي تواجه الأمة من قبيل الفقر وغيرها من المشاكل الاجتماعية لما حققته المالية الإسلامية من نجاح على جميع المستويات، فشغلها الشاغل هو تعبئة الموارد وتوظيفها في مشاريع تنموية تزاوج بين المبادئ الشرعية ورغبة الزبون، مستبعدة في ذلك كل الطرق المحرمة كالربا أخذاً وعطاءً، لتحقيق الرفاهية للمجتمع المسلم وتحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة العادلة وزرع أسس التكافل الاجتماعي.